كلمة العدد

كيف تكون سعيدا

بقلم
د. محمود أبو العزائم
رئيس التحرير

قابلته في الطريق بعد فراق دام حوالى ٤٠ عاما منذ التخرج من الجامعة وقد بدا على وجهه آثار العمر ولكن كل ذلك ممزوج بمسحة من الحزن، وبعد سلام وسؤال عن أحواله وجهت له سؤالا عن سبب مسحة الحزن التى تبدو على وجهه وقد كان فى ماضى الزمان يوصف بأنه مهرج الدفعة والضاحك الباسم الساخر دائما.

وبعد لحظات بدا منها أنه يراجع نفسه هل يتحدث أم لا، قال لى هل ترى في هذه الحياة أى سبب يدعو للسعادة و التفاؤل؟ ألا ترى أحوال العباد والبلاد!!

بادرته قائلا: يا سيدى هكذا أحوال البلاد والبشر منذ أن خلق الله الأرض وعمرها بالإنسان ووضع فيها الخير والشر والسعادة والحزن والهم.

رد قائلا: يا سيدى نحن نختلف كليا.. أنا لا أري فى هذه الحياة إلا كل هم وغم وابتلاءات ومشاكل.. مشاكل مع الناس .. مشاكل مع الأخوة مشاكل مع الزوجة والأبناء.. أين هى السعادة التى تتكلم عنها؟ هل أنت تعيش فى عالم آخر غير عالمنا الذي نعيش فيه!!

قلت له تعال أولا نعرف معنى السعادة حتى يكون المصطلح الذى نتحدث عنه سويا دقيقا وواضحا ولكن قبل هذا تعال معا نصلى صلاة المغرب في المسجد حيث انطلق الأذان والوقت لا يتسع لمزيد من المناقشة حاليا.

■■■

بعد الصلاة جلس بجانبى بعيدا عن جماعة المصلين وبادرنى قائلا: إن السعادة فى ذهنى هى أن أستطيع أن أحصل على ما أرغب وأتمنى وأن أحقق مطالبى فى الحياة بكل سهولة ويسر وبدون المعاناة التى نعانى منها جميعا من أجل الحصول على المطالب الأساسية في الحياة.. انظر حولك حتى ترى حجم المعاناة على وجوه الناس من أجل الحصول على أبسط حقوقهم حتى عم الهم والاحباط جميع طبقات الشعب وحتى يئسوا من أي محاولات اصلاح وتغيير خصوصا بعد ثورة ٢٥ يناير.

قلت له إن الإحساس بالسعادة يتطلب منا إدراك عدة أمور: منها أن يؤمن الإنسان بالقدر خيره وشره، ويؤمن بأن ما يحدث له من أحداث أيا كانت هذه الأحداث مقدرة من الأزل، ولكن المهم ألا نرتكن إلى أن أقدارنا مقدرة من الأزل، فعلينا أن نأخذ بالأسباب مع إدراك أن السعى فى أيدينا، ولكن النتيجة فى يد خالقنا.

فمثلا: الطالب قد يذاكر ويجتهد، ولكن فى النهاية يرسب فى الامتحان، فالطالب هنا قد سعى واجتهد وأخذ بأسباب النجاح، ولكن النتيجة بيد الله سبحانه وتعالى، فعليه الرضاء والتسليم ، وعدم الحزن، لأن هذا مقدر له . كما أن ذلك حدث لحكمة يعلمها الله، وفي هذا يقول المولى (عز وجل) فى سورة الحديد ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾.

فلكى يحس الانسان بالسعادة عليه أن يرضى بما قسمه الله له، وعليه التسليم بأمر الله، لأنه لا يقع فى ملك الله شىء لا يريده . لذلك فى كثير من الأوقات يريد الإنسان شيئا محددا، ويسعى لتحقيقه بشتى السبل، ويعتقد أن الخير فيه، وأن سعادته لن تكتمل إلا به، ولكن الله لا يحققه له، فيحزن ثم بعد ذلك يكتشف أن ما كان يريده بشدة هو شر له، وما أراده الله وقضاه هو الخير وفيه السعادة.

والحياة الإنسانية تزخر بالعديد من التجارب التى من خلالها يتضح هذا الأمر، وفى هذا يقول المولى عز وجل ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾.

إن الإنسان يفكر كثيرا في أمر سعادته، وهناك من يتصور أنها قد تأتيه من جمع المال، أو المنصب، أو الدرجة العلمية، أو الوجاهة الاجتماعية، ولكن مفهوم السعادة أكبر من ذلك بكثير.

والسعادة الحقيقية تعتمد على عدة أمور:

أولها: نقاء الضمير والإرادة الخيرة التى تجعل صاحبها مطمئنا واثقا بنفسه متجها إلى الله سبحانه وتعالى فى أقواله وأفعاله.

ثانيا: السعادة فى التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

ثالثا: السعادة تواضع ومحبة وعشرة طيبة بين الإنسان والآخر.

ويوجد الكثير من الأحداث العالمية واليومية التى تسبب الاكتئاب، لذلك على الإنسان لكى يتغلب على هذه الضغوط والمشاكل التى تحيط به أن يبحث عن السعادة داخله وسيجدها في إيمانه بالله ، ثم الرضا عن الذات وصحوة الضمير الأخلاقى وتأمل معى هذه الكلمات العظيمة المتأملة في معنى السعادة والابتسام للحياة للأديب الراحل الأستاذ أحمد أمين حين يقول:لا شىء يضيع ملكات الشخص ومزاياه كتشاؤمه في الحياة، ولا شيء يبعث الأمل، ويقرب من النجاح وينمى الملكات ويبعث على العمل النافع لصاحبه وللناس، كالابتسام للحياة ليس المبتسمون للحياة أسعد حالا لأنفسهم فقط. بل هم كذلك أقدر على العمل، وأكثر احتمالا للمسئولية، وأصلح لمواجهة الشدائد، ومعالجة الصعاب والاتيان بعظائم الأمور التى تنفعهم، وتنفع الناس. لو خيرت بين مال كثيرا، أو منصب خطير، وبين نفس راضية باسمه لاخترت الثانية، فما المال مع العبوس؟ وما المنصب مع انقباض النفس؟ وما كل ما فى الحياة إذا كان صاحبه ضيقا حرجا كأنه عائد من جنازة حبيب؟ وما جمال الزوجة إذا عبست، وقلبت بيتها جحيما؟ لخير منها ألف مرة زوجة لم تبلغ مبلغها فى الجمال ، وجعلت بيتها جنة.)

وأخيرا فإن للسعادة مفاتيح وأسرارا ونستطيع أن نلخص سر السعادة فى ثلاث:

قال (صلى الله عليه وسلم) : من بات آمنا في سربه معافى فى بدنه، عنده قوت يومه، فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها» إنه تلخيص بليغ لأسباب السعادة ، أمن ، عافية، قوت يوم، وتبقى الفجوة بين الامتلاك و الرضا ، بين ما لدى الإنسان ، وما يريده . وإذا لم تستطيع أن تعمل ما تحب، فأحب ما تعمل، فإن السعادة أيضا تتحقق حين يسعد الانسان بما لديه حين يعجز عن الحصول على ما يتمنى.

إن السعادة: هى مواقف ، وكلمات، وتطلعات، ونظرات في الحياة بواقعية وأمل وتطلع وإشراق.

ابحث فى داخلك ففى أعماقك السعادة، وفيها الينبوع الذى لا ينضب.